حديث الامر الواقع

حدثنى أخ ثقة فقال :

بذلوا كثيراً من الجهد فى إنشاء عدد وافر من المدارس الالزامية فى نهاية عام ١٩٢٥ وهيأوا هذه المعاهد الكثيرة التى أربت على السبعمائة فى كثير من السرعة وفى خلال هذه الحركة القوية النشيطة اختيرت ممن اختيروا رئيسا لإحدى المدارس الجديدة وكان هذا النوع من التعليم جديدا لم تعرفه الأمة بعد كما لم يكن القائمون بأمره قد عملوا على مقتضاه من قبل ؛ لذلك ذهبت إلى القرية التى عينوها لى تعيش فى نفسى خواطر شتى

هل سيصادفنى التوفيق فى عملى ؟ وهذه المدرسة التى سأفتحها ؛ هل سأجدها تشمل مكانا رحبا صحيحا يشرح الصدر ويقر العين ؟ وهل أجد فى القرية مسكنا يستطيع رب الأسرة أن يجد فيه راحته ؟

وما لبثت أن وصلت إلى القرية ؛ فالفيت أهلها يروحون ويغدون تشغلهم شئونهم عنى فلم يسألنى أحد من أين جئت ؟ ولا إلى أين تذهب ؛ ضاق لذلك صدرى ، ولكنى وجوت رجلا أن يدلنى على المدرسة التى ستفتح هنا فذهب بى اليها ؛ ونظرت الى المكان فألفيته بناء صغيرا ، يشتمل على حجرتين حوله فضاء غير كبير يليه ؛ ولكنه غير محدود بسور لذلك كان مباحا ، تشغله جماعة من الماعز والخراف والطير الدواجن ؛ وكان الشهر نوفمبر ، لذلك اتخذه بعض السكان مستقرا لتجفيف غلات الذرة ؛ ووضع لفائف الحطب ؛ ودخلت البناء ، فوجدت علائم القدم تبدو من خلال قشرة الجير التى طلوه بها ولا أثر فيه لعناية أو تعمير ؛ أرضه طينية رطبة ؛ ونوافذه طارت مصاريعها العليا فلست ترى لها من أثر

ترك هذا المنظر فى نفسى ألما بالغا ؛ ولم تكن الجهة الرئيسية قد أوصلت بعد أثاثا فليس بالمكان كرسى أجلس عليه بل ولا حصير أفترشه

فقلت لصاحبى اذهب بى الى منزل العمدة وهناك لقيته ، فقابلنى مقابلة عادية ، واجتهدت فى ألا أتألم لذلك ، فقد أدركت أن هؤلاء القوم العذر ؛ فالعمدة يقابل كثيرا من رجال الحكومة ممن هم أكبر شأنا منى وقت ضابطا أو رئيسا اداريا تخشى صولته ؛ والأهالى لا يعرفون من أمرى شيئا بعد ، ويجب أن تتاح لهم الفرصة ؛ والفرصة الطويلة لتقديرى ؛ فأنا معلم ومهمتى معنوية لا يدرك أثرها بسرعة ؛ وجمهور الناس أقل تقديرا للمعنويات

وعدت الى العمدة ومن معه ؛ وجعلت هى أن أشرح لهم رغباتى لخير القرية وأمنيتى فى أن أوفق لخدمتها ، والعناية بشأن بنيها وبناتها ؛ ولقد وجدت عقب ذلك فى الحال اهتماما بشأنى ؛ ثم جاء ونحن جلوس زميل لى عينوه معلما معى بالمدرسة ، ولم أكن أعرفه قبلا فبششت لقائه وأحسنت استقباله فأكرمه القوم معى ؛ ووجدت بلقائه أنسا ، لأنى ألفيته شابا مؤدبا ، ذكيا .

ونزلنا فى ضيافة العمدة وأقاربه يومين ثم لم نشأ أن نطيل الضيافة ؛ وبحثنا عن مسكن لزميلى ، ونزلت معه فيه ؛ حتى أوفق لايجاد مسكن لى وأحضر أسرتى ؛ ولم أجد غضاضة فى أن انتفع مع زميلى بأثاث منزله ؛ فانى أرى أن رفع الكلفة بين الزملاء فى الشئون الخاصة ذا أثر حسن فى الصلة الرسمية بينهم .

ولم ألبث إلا قليلا حتى وفقت الى منزل مناسب فزالت بذلك صعوبة من الصعوبات التى كنت أتوقعها ؛ وتألمت لأنى تركت زميلى وحيدا ، ولكن شاء الله أن يؤنسه ؛ فأرسل الينا زميلا ثالثا ، ساكنه وعاشره ؛ وكانا كأخوين كنت شقيقهما الثالث

انصرفنا الى عملنا وبدأنا ننشر الدعوة له وكانت هذه الدعوة تستلزم أن نتصل بالأهلين ، وأن توجد بينهم رابطة وأن تحكما ؛ ولم نشأ أن نهجم على ايجاد هذه الرابطة هجوما ، فقد يكون فى هذا التهافت مايصغر من شأننا كما لم نلجأ لخطة البعد التام والترفع عن الناس التى يراها بعضهم حكيمة ، فاتخذنا خطة وسطا .

فكنا نتعمد أن نرى الناس ويرونا فى المساجد أوقات الصلاة وفى أيام الجمع بنوع خاص وننشر فيهم الدعوة الى التعليم ؛ وكنا اذا مررنا بهم وهم جلوس حييناهم تحيات تناسب عاداتهم وتقاليدهم ؛ وكنا نعزيهم فى مآتمهم

ورغم شعورنا بالغضاضة لعدم اسراعهم بالاتصال بنا والالتفاف حولنا ؛ حرصنا على ألا نذكر القرية وأهلها الا بالخير

وقد يصادفنا فرد من أهل القرية يسم مجموع أهلها بالبخل وعدم العناية بالغرباء والجهل بأقدار المتعلمين فكنا لانقره على ذلك ولا نقبله منه

فصار الناس يقبلون علينا رويدا رويدا وما هى الا بضعة شهور حتى كنا من القرية كأبر أبنائها ، وشعرنا بأننا مغمورون بعطف الأهالى ومحبتهم ، وازدحمت المدرسة بالبنين والبنات

واذكر لك أنه كان بهذه القرية خصومات عنيفة جدا بين العمدة وفريقه وأسرة أخرى وفريقها ؛ وهكذا القرى تكثر فيها الخصومات وتستمر العداوات حتى بين الاقارب لأنه

الأسباب ؛ ونحن كمعلمين يجب أن نكون رسل سلام آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ونحن حملة كتاب الله الذى يقول « ولتكن منكم أمّة يدْعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلِحُون » ؛ والخصومة منكر فمن واجبنا أن نعمل لازالته لذلك حاولنا أن نصلح بين المتخاصمين واستعنا بكبار أهل القرى المجاورة ولاشتداد الخصومة لم تنجح مساعينا صلحا ولكنها أنتجت هدنة شهدنا أثرها الطيب طول اقامتنا فى هذه القرية ، واستطعنا فى ظل ذلك الهدوء أن نعيش بسلام وأن نزور الجميع ونحكم الصلة مع الجميع ؛ وأخذنا أنفسنا بإلتزام البعد التام عن كل ما لا يعنينا من الشئون ، وما كفّين على عملنا ؛ كافّين ألسنتنا عن الخوض فى شئون الناس ذاكرين الجميع بالخير ؛ وأصبحنا فى داخل مدرستنا كتلة يسودها الحب والاحترام المتبادل وتتجه بكل قوتها الى خير القرية : أمام الاهالى فنحن موضع محبة الجميع

وها أنت ترى أننى تغلبت على كثير من الصعاب التى كنت أخشاها ولكن ما كادت تمضى سنة حتى نقل زميلاى اللذان أحببتهما وألفتهما القرية وجاءنى زميلان آخران ثم زيد عدد المعلمين

وأصبحت حيال صعوبات أخرى فان مكان المدرسة ضاق بفصولها التى نمت واتسعت ولم يك مستأجراً نستطيع أن نستأجر غيره وانما كان هبة وجمهور الاخوان يعرفون أن هذه مشكلة دقيقة

والى هنا ترك الزميل حديثه وأرجو أن يكون ما بقى من حديثه مفيدا ؛ وأن أوفق لنشره فى العدد القادم ان شاء الله.

محمد الجوهرى ماضى

عند صلاح الدين الايوبى

أهدى شريف مكة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى هدايا عديدة وكان من بينها مروحة من الخوص ؛ فعرضها الرسول عليه وقال له هذه مروحة ما رأى السلطان ولا آباؤه من قبله مثلها فأخذها السلطان فى غضب وصار يقلبها فرأى مكتوباً عليها :

أنا من نخلة تجاور قبرا ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتنى سعادة القبر حتى صرت فى راحة ابن أيوب أقرا

فعرف السلطان أنها من خوص النخل الذى فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فقبلها ووضعها على رأسه وقال للرسول صدقت صدقت . وأجزل صلته .